

من أخلاقنا في الجهاد: (إِذْ يَعِدُهُمُ اللَّهُ إِحْدَى الْطَّيَّبَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ)

الكاتب : رابطة خطباء الشام

التاريخ : 21 فبراير 2015 م

المشاهدات : 4757



مقدمة:

قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) (المتحنة 6)

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة في شتى ميادين الحياة، ومنها العسكرية، فقد كانت حياته العسكرية دروساً للقادرة والمجاهدين إلى هذا اليوم وإلى قيام الساعة؛ تلك الدروس التي إن اتبعها المجاهدون نجحوا كما نجح رسول الله صلى الله عليه وسلم.

و والله لن تفلح هذه الأمة إلا إذا سارت على نهج نبيها الذي استطاع أن يبني للإسلام دولة من فتايات متناثر في مدة لا تساوي في حساب الزمن شيئاً على الإطلاق.

فحرى بالمجاهدين من هذه الأمة وبال المسلمين عامة أن يدرسوا غزواته عليه الصلاة والسلام وأن يستلهموا منها الدروس والعبر.

عناصر الخطبة:

1- الشجاعة والصدق عند اللقاء

2- (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يرید آخرة) تقديم الجهاد على الغنائم.

3- التحذير من الغلول في الغنائم.

1- الشجاعة والصدق عند اللقاء:

قال الله تعالى:(أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (التوبه:13)

وقال الله تعالى:(إِنَّمَا ذَكَرُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أُولَئِكَ الَّذِينَ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (آل عمران 175)

وقال الله تعالى:(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) (الأحزاب 23)

وقال الله تعالى:(أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ بَيْنَهُمْ) (الفتح 29)

وقال الله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقُومٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذْلَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَاتِمٍ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ) (المائدة 54)

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: "لو أني فعلت كان كذا وكذا"، ولكن قل: "قدر الله وما شاء فعل"، فإن "لو" تفتح عمل الشيطان) (رواه مسلم: 2664)

- وعن أنس رضي الله عنه، قال: (عَنْ أَنْسٍ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ)

(وَلَقَدْ فَزَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَأَنْطَلَقَ نَاسٌ قَبْلَ الصَّوْتِ، فَلَمَّا هُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاجِعًا، وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْبِيِّ، فِي عُنْقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ: «لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا» قَالَ: «وَجَدْنَاهُ بَحْرًا، أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ» قَالَ: وَكَانَ فَرَسًا يُبَطَّلُ) (أخرجـه البخارـي وـمسلم، والـلفـظ لـمسلم).

وجدناه بحرا: أي وجـدـنا الفـرسـ وـاسـعـ الجـريـ.

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان في غزوة مؤتة، قال: (فالتمسنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فوجـدـناـهـ فيـ القـتـلـيـ، فـوـجـدـنـاـ بـمـاـ أـقـبـلـ مـنـ جـسـدـهـ بـضـعـاـ وـتـسـعـيـنـ بـيـنـ ضـرـبةـ وـرـمـيـةـ وـطـعـنـةـ)، وفي رواية: (فـعـدـتـ بـهـ خـمـسـيـنـ بـيـنـ طـعـنةـ وـضـرـبةـ لـيـسـ مـنـهـ شـيـءـ فـيـ دـبـرـهـ) - يعني: ظـهـرـهـ (روـاهـ البـخـارـيـ: 4261)

- وعن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري قال: (سمـعـتـ أـبـيـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ وـهـ بـحـضـرـةـ العـدـوـ يـقـولـ: قـالـ رـسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ: إـنـ أـبـوـابـ الـجـنـةـ تـحـتـ ظـلـالـ السـيـوفـ)، فـقـامـ رـجـلـ رـثـ الـهـيـةـ فـقـالـ: يـاـ أـبـاـ مـوـسـىـ أـلـنـ سـمـعـتـ رـسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ يـقـولـ هـذـاـ؟ـ قـالـ: نـعـمـ، فـرـجـعـ إـلـىـ أـصـحـابـهـ فـقـالـ: أـقـرـأـ عـلـيـكـمـ السـلـامـ، ثـمـ كـسـرـ جـفـنـ سـيـفـهـ فـأـلـقـاهـ، ثـمـ مـشـىـ بـسـيـفـهـ إـلـىـ الـعـدـوـ فـحـضـرـ بـهـ حـتـىـ قـتـلـ) (روـاهـ مـسـلـمـ: 1902)

رـثـ الـهـيـةـ: خـلـقـ الـثـيـابـ.

وـجـفـنـ سـيـفـهـ: غـلـافـهـ.

- وعن أنس رضي الله عنه، قال: (غـابـ عـمـيـ أـنـسـ بـنـ النـضـرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ عـنـ قـتـالـ بـدـرـ فـقـالـ: يـاـ رـسـولـ اللـهـ غـبـتـ عـنـ أـوـلـ قـتـالـ قـاتـلـ الـمـشـرـكـينـ، لـئـنـ اللـهـ أـشـهـدـنـيـ قـاتـلـ الـمـشـرـكـينـ لـيـرـيـنـ اللـهـ مـاـ أـصـنـعـ، فـلـمـاـ كـانـ يـوـمـ أـنـكـشـفـ الـمـسـلـمـونـ فـقـالـ:

اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبراً إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم، فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النصر إني أجد ريحها من دون أحد، فقال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: (فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمج أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل ومثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببناته)، قال أنس: (كنا نرى - أو نظن - أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشياهه؛ (مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ) صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا يَدْلُو إِلَيْهِ تَبْدِيلًا) (رواه البخاري: 2805)

- وعن أنس رضي الله عنه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ سيفا يوم أحد فقال: "من يأخذ مني هذا؟"، فبسطوا أيديهم كل إنسان منهم يقول: أنا أنا، قال: " فمن يأخذ بحقه؟!"، قال: فأحجم القوم، فقال سماع بن خرشة - أبو دجانة - : أنا أخذه بحقه، قال: فأخذه ففرق به هام المشركين) (رواه مسلم: 2470) فأحجم القوم: أي تأخروا وكفوا.

وقوله: ففرق به هام المشركين: أي شق رؤوسهم.
- وعن قيس بن أبي حازم قال: سمعت خالد بن الوليد يقول: (لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعه أسياف، مما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية) (رواه البخاري: 4265)
والصفيحة: السيف العريض.

- وعنده قال: قال خالد بن الوليد: (ما ليلة تهدى إلى بيتي فيها عروس أنا لها محب، وأبشر فيه بغلام، بأحب إلى من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين، أصبح بها العدو) (رواه أبو يعلى: 7185)، قال في المجمع: ورجالة رجال الصحيح).
- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع) (رواه أبو داود: 2511، وغيره، وصححه الألباني).
والحال: هو الذي يخلع القلب لشدة تمكنه منه ويعنده عن الإقدام.

2- (مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ) تقديم الجهاد على الغنائم:

إن بعض المقاتلين يكون همه من القتال إدراك الغنائم، وهذا في الحقيقة دخل في النية، فإنما النية هي: الجهاد والقتال حتى النصر أو الشهادة، فإن حصلت الغنيمة تبعاً فبها ونعمت.

قال تعالى : (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الْطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوَكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكُفَّارِينَ) (الأنفال: 7)

وإسراع بعض المقاتلين لجمع الغنائم قد يؤدي إلى ثغرة في الصدف يطعم فيها العدو، وقد حصل شيء من ذلك مع المجاهدين مما كان سبباً في استشهاد بعضهم.

إن الرماة لما تركوا مواقعهم في غزوة أحد ونزلوا يجمعون الغنائم كانوا سبباً في الهزيمة، واسمع كيف وصفهم الله تعالى وانظر إلى خطورة هذا الوصف:

قال ابن عباس رضي الله عنه: (لما هَزَمَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أَحَدَ قَالَ الرَّمَاءُ: أَدْرَكُوا النَّاسَ وَنَبَيَّ اللَّهِ لَا يَسْبُقُوكُمْ إِلَى الْغَنَائم فَتَكُونُ لَهُمْ دُونَكُمْ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نَرِيم - أَيْ لَنْ نَرِحَ أَمَاكِنَنَا - حَتَّى يَأْذِنَ لَنَا النَّبِيُّ، فَنَزَّلَتْ: (مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ) (آل عمران: 152).

فوصف من نزلوا لجمع الغنائم بأنهم يريدون الدنيا، ووصف الآخرين بأنهم يريدون الآخرة، قال ابن مسعود رضي الله عنه: (ما كنت أرى أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزلت علينا يوم أحد، وذكر الآية). (السيرة

والآية هي قوله تعالى: (وَلَقَدْ صَدَقُكُمُ اللَّهُ وَعْدُهُ إِذْ تَحْسُونُهُمْ بِإِنْهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشَلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفْتُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَأِيْكُمْ وَلَقَدْ عَفَّا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) (آل عمران: 152)

2- التحذير من الغلول في الغنائم:

- قال الله تعالى: (وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (آل عمران: 161)

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: (كان على ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له: كِرْكِرَة، فمات، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هو في النار"، فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها) (روايه البخاري: 3074)
والثالث: هو الغنيمة.

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني عمر رضي الله عنه، قال: (لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: فلان شهيد، وفلان شهيد، وفلان شهيد، حتى مروا على رجل فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلا إني رأيته في النار في بردة غلها" - أو عباءة غلها - ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس؛ إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون") (روايه مسلم: 114)

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: (قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظم أمره حتى قال: (لَا أَلْفَيْنَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقْبَتِهِ بِعِيرٍ لِهِ رَغَاءً، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْثَنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلَكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أَلْفَيْنَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقْبَتِهِ فَرِسٌ لِهِ حَمْمَةً، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْثَنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلَكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أَلْفَيْنَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقْبَتِهِ شَاءَ لَهَا ثَغَاءً، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْثَنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلَكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أَلْفَيْنَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقْبَتِهِ رَقَاعٌ تَخْفَقُ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْثَنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلَكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أَلْفَيْنَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقْبَتِهِ صَامَتْ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْثَنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلَكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ) (روايه البخاري ومسلم واللفظ له).

لَا أَلْفَيْنَ: أي لا أجدن.

والرغاء: هو صوت الإبل وذوات الخف.

والحمامة: هو صوت الفرس.

والثغاء: هو صوت الغنم.

والنفس: ما يغله من الرقيق، من إمرأة أو صبي.

والرفاع: جمع رقعة وهو ما تحفظ فيه الحقوق وقيل الثياب.

وتخفق: أي تتحرك وتضطرب.

والصامت: الذهب والفضة، وقيل: ما لا روح فيه من أصناف المال.

والمعنى إن كل شيء يغله الغال يجيء يوم القيمة حاملا له ليفتضح به على رؤوس الأشهاد سواء كان هذا المغلول حيوانا أو إنسانا أو ثيابا أو ذهبا وفضة.

وهذا تفسير وبيان لقوله تعالى (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ۝ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۝) (آل عمران: 161)

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: (خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى خَيْرٍ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلَمْ نَغْنِمْ ذَهَبًا وَلَا وَرْقًا، غَنَمْنَا الْمَتَاعَ وَالطَّعَامَ وَالثِّيَابَ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا إِلَى الْوَادِي، وَمَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ، وَهَبَهُ اللَّهُ رَجُلٌ مِّنْ جُدَادِهِ يُدْعَى رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ مِّنْ بَنِي الضُّبَّابِ، فَلَمَّا نَزَلْنَا الْوَادِي، قَامَ عَبْدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْلُّ رَحْلَهُ، فَرُمِيَ بِسَهْمٍ، فَكَانَ فِيهِ حَثْفَةٌ، فَقُلْنَا: هَنِيَّا لَهُ الشَّهَادَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلَّا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ الشِّمْلَةَ لَتَأْتِهِ نَارًا أَخْذَهَا مِنَ الْفَنَائِمِ يَوْمَ خَيْرٍ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ»، قَالَ: فَقَرَعَ النَّاسُ، فَجَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاقِهِ أَوْ شِرَاكِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصَبَّتُ يَوْمَ خَيْرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شِرَاقٌ مِّنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكٌ مِّنْ نَارٍ») رواه البخاري ومسلم.

الشِّمْلَةُ: كَسَاءُ أَصْغَرُ مِنَ الْقَطِيفَةِ يُتَشَّحُ بِهَا

المصادر: